



مُتَع الأعماق



www.qeam.org
www.zumord.net

حين تخرج المتعة من عمق الألم

الألم هو تجربة حسية وعاطفية بغیضة متعلقة بضرر نسيجي فعلي أو نفسي كامن، وقد يكون مادي أو معنوي بحسب العوامل التي تسببه، وهو إحساس أو شعور سلبي بعدم السعادة، والمرأة تحس بالألم أكثر من الرجل لأن جسمها يحتوي ضعف ما يحتويه الرجل من الألياف العصبية مما يجعل إحساسها بالألم أقوى ولمدة أطول، توصل باحثون نفسيون إلى أن الذكريات المؤلمة المرتبطة بالتجارب العاطفية أكثر إيلاما من تلك المتعلقة بالألم البدني، ولكن هل يمكننا أن نحول الألم كما لو كان فرصة متاحة لشعور المتعة وكيف؟⁽¹⁾

يقول صاحبي أنه أبتلي بمرض السرطان فما عاد يقوى على المشي كالسابق، وما عاد يجد حتى للأطعمة مذاقات، فقرر أن يتصاحب مع المرض بعد أن كان رافضاً له، بحكم أن الرفض يطلق إفرازات يجعل السرطان مقاوم لها، وهو ما سيزيد من معدلات الألم، فقد كانت مصاحبته للألام تتم عبر حوار يجريه يوميا معه كما لو كان الألم شخص يُدرك ويسمع ويستجيب.

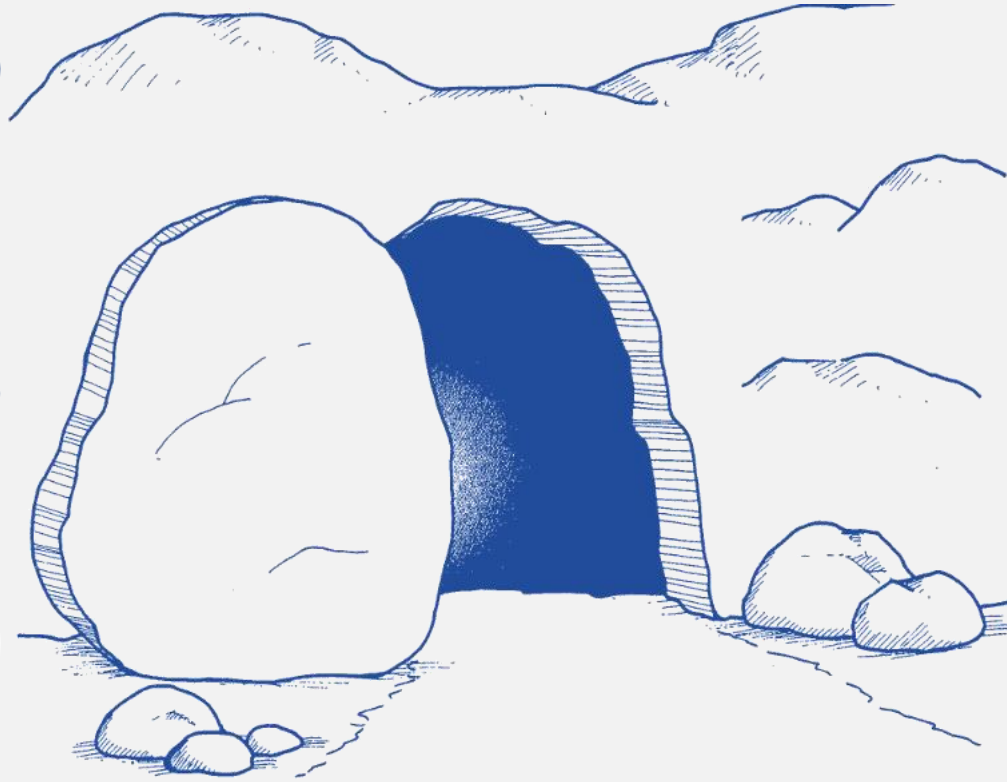


تفجير الألعاب النارية وإشعالها من أجل انتزاع المتعة، هو انتزاع للمتعة عبر ألم

ثم بدأ يستكشف مواطن أخرى حيال الحكمة في أن يأذن الله في إصابته بمثل هذا المرض، فقرر أن يعتبر السرطان كما لو كان ضيفا أو رسول يحل عليه، ويا لجمال رسول يكون مرسله الله، وهو ما جعله مستكشفا صفات المرسل (الله)، وعلاقة تلك الصفة بالألم الذي أذن به، ما جعله مدرك لمسار أكثر قربا لله، وصار يدرك جمالا حجب عن الأصحاء، بل حتى لا يمكنهم أن يدركوه إلا بتضلع ذات التجربة، وأغرب ما جاء في حالته، أنه حين شفي من السرطان شعر بالوحشة وألم الفراق، إذ كان على وصال يومي مع الرسول، وقد فارق وما عاد يعود !.

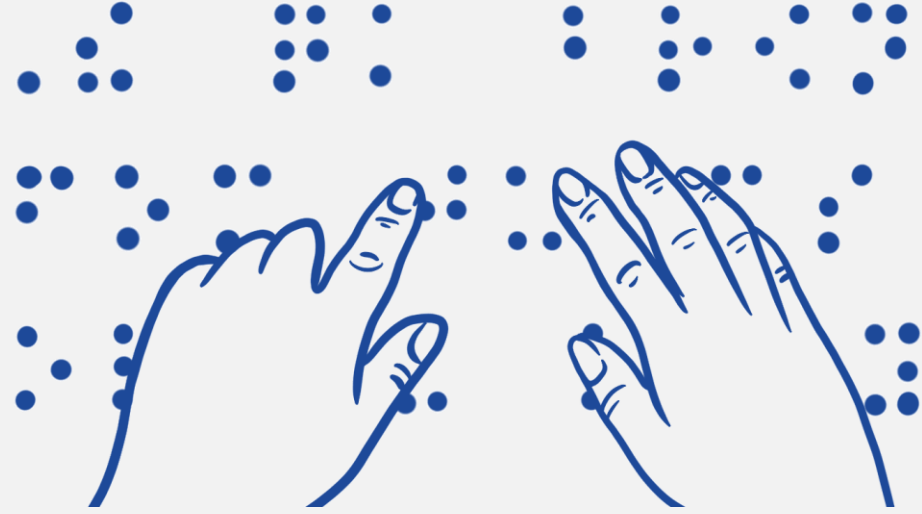
حين يخرج النور من عمق الظلام

في الفيزياء أثبت العلماء من أن لكل قوة فعل قوة رد فعل مساوية له في المقدار ومعاكس لها في الاتجاه، وهو ما نلاحظه في الطبيعة إذ حركة الليل والنهار حين يتعاقبان، فقوة الليل المظلمة تدفع قوة النور لينبج النهار، ونراه في عموم المتضادات كالألوان مثلا، فوضوح اللون الأبيض يكون بعد مزاملته للون داكن أسود، ومع المسار الصحي حيث الأمصال حين يتم تطعيم الجسد بأمصال من ذات نوع الفيروسات المسببة للمرض كي يرتقي الجسد بقدراته في المقاومة، وما القراءة (بريل) عبر الأنامل إلا عن ظلمة أحاطت بمخترعها فأبصر، وما الثورة الفرنسية التي انطلقت عن قيم الحرية والمساواة إلا عن ظلمة الإقطاعيين وقهر الملوك لشعبهم، ونجد في القرآن إذ يذكر الله تعالى: (فَأَوُّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ)، فظلمة الكهف كانت على الضد مقارنة بالسعة والنور والرحمة إذ أخرج الفتية منتصرين بعد حين، بل زاد رب العالمين إذ جعل الظلام والنور يمضيان متصاحبين إذ قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) تأكيداً عن نور مستمر بالرغم عمق ظلمة العسر.



حين تخرج القوة من عمق الضعف

يختلف مفهوم الضعف باختلاف الحالة والبلدان والثقافات والأزمنة، فقد يعني الضعف الفقر، وقد يعني المرض، وقد يعني عدم توفر المواد اللازمة للإنجاز، وقد يعني القهر، نظراً لتداخل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشكل ذلك التعريف وتؤثر عليه، وهو ما يؤدي للشعور بعدم الأمان وضعف القدرة على اتخاذ القرارات، وممارسة حرية الاختيار، ومواجهة الصدمات الخارجية والداخلية. لقد ضعف العالم في الحد من غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج عن حرق النفط والبناء الخراساني، حيث أكدت الأبحاث من أن الأرض تشهد بناء خرسانيا بحجم مدينة نيويورك شهرياً، وهو ما أدى للتسابق فيما بين العلماء لاختراع بدائل، فكان اختراع كندي ينتزع غاز الكربون من الهواء ليحوّله لمادة تحل محل الاسمنت في البناء. فإن كان الضعف يعني عدم توفر المواد اللازمة للإنجاز فقد بينت الدراسات من أن مسار الإبداع في الإنجاز قد يكون أيضاً عبر المعوقات، فهي اليابان بعد دمار هورشيما وناجازاكي إثر القاء القنبلة الذرية تعود بل ترود تكنولوجيا، وها هي الالمانيتين تعودان بعد ما شملهم دمار الحرب العالمية الثانية لتسود صناعياً، وإن كان الضعف عن القهر، فمعظم الثورات التي سجلها التاريخ تمخضت عن ازدهار، **أما إن كان عن**



مرض، فهذا هو العالم الفيزيائي ستيفن هوكينغ الذي أصيب بمرض الباركنسون يتألق عبر نظرياته الفيزيائية، ولويس بريل الضريح الذي اخترع القراءة باللمس، وقد زادت إعاقة الموسيقار بتهوفن في سمعه تألقا عبر ما عزف، والقائمة تطول حين تخرج القوة من عمق الضعف.

حين يخرج الخير من عمق الشر

جرى بحث الشر في العلوم الاجتماعية في إطار نظريات مختلفة كعلم الاجتماع وعلم النفس الطبي، حيث يتجسد الشر في نوع شخصية غير اجتماعية أو المريضة نفسياً. حيث من صفات المريض النفسي أنه متطرف سلوكياً وعدم القدرة على إبداء التعاطف وبانعدام الضمير وكبح جماح النفس، فلو الاضطراب النفسي الذي يعانيه صاحب السلوك الضال لما اجتهد علماء النفس والاجتماع للخروج بعلاجات ومسارات لضبط السلوكيات أو الحد من آثارها على نطاق الأسرة والمجتمع، ولما سنت القوانين على نطاق دولي وظهرت منظمات دولية كمحاولات للحد من آثار الشر على تنوع مساراته. وثمة نموذج الاجتهاد الذي تقوم به المانيا لمخاوفها عن إيقاف النفط الروسي والغاز عنها بابتكار مستحضرات لطاقت بديلة انتجتها بعد التطوير عن مخلفات الحيوانات لانبعاثات كربونية لا تقارن عن انبعاثات كربون النفط. وفي الخطأ ويقول نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» وهذا يعني أن الخطيئة صفة طبيعية عند الإنسان ولا يوجد أحد معصوم حسب العقيدة الإسلامية، وجاء في الأثر، رب خطيئة أدخلت صاحبها الجنة (5)، ذلك إن التوبة والاستغفار يدفعان صاحب الخطيئة في الاجتهاد لبلوغ رضى الله ليبدل الله السيئات على ضوء التوبة لحسان بل يضاعفها ليبلغ بذلك المخطئ الجنة، وذلك هو الخير حين يخرج من الشر.



حين يخرج الإحسان من عمق الإمساك

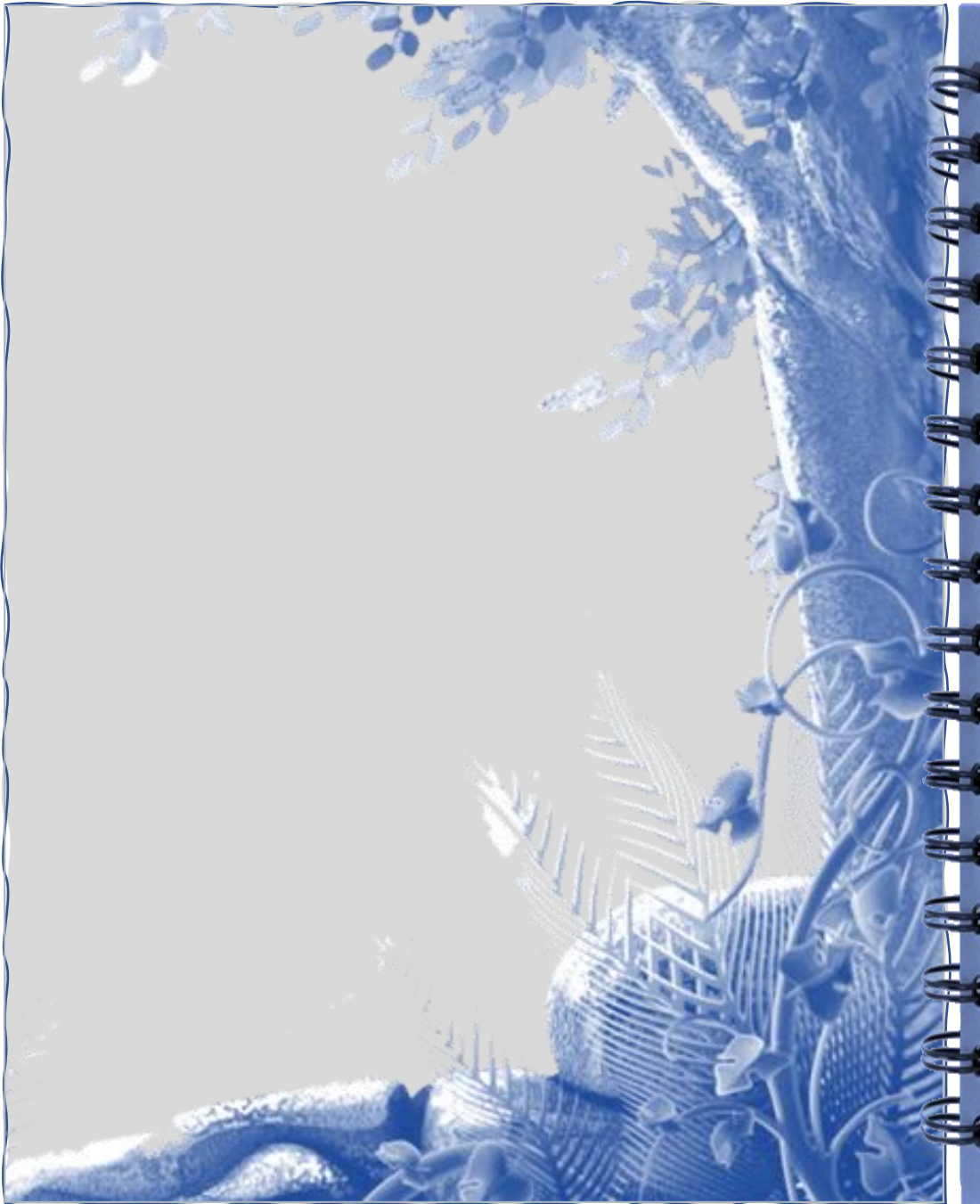
تعتبر السدود نموذجاً للحد من هدر الماء عبر (إمساكه) فهو إحسان للناس لري مزارعهم ولشربهم ولمنارهم الأخرى، والخلايا الكهرو شمسية نموذجاً آخر في إمساك الأشعة لتحويلها لطاقة يستتير بها البشر إحساناً، والبطاريات الجافة نموذج في إمساك طاقة آنية وتخزينها من أجل استخدام في أوقات تالية.

وفي ممارساتنا الحياتية يذكر أبي عطاء الله السكندري من أن (في المنع عطاء)، بهذا المفهوم ننطلق لنبين، كيف أن خرق السفينة من قبل الخضر كان إحساناً لا إمساكاً، وفي علم الله السابق من أن فلان سيحيد عن الطريق بغنى المال ليكون الحجب منجاة له وهو موطن إحسان لا إمساك، ولعلم الله من أن منح المنصب لعلان سيحكم بالظلم على الناس، ليكون الإمساك والحجب عطاء وإحسان للناس، وفي الحديث الشريف (ما نقص مال من صدقة) بيان للزيادة عبر الإحسان حين تشحّ النفس بالقض والإمساك.



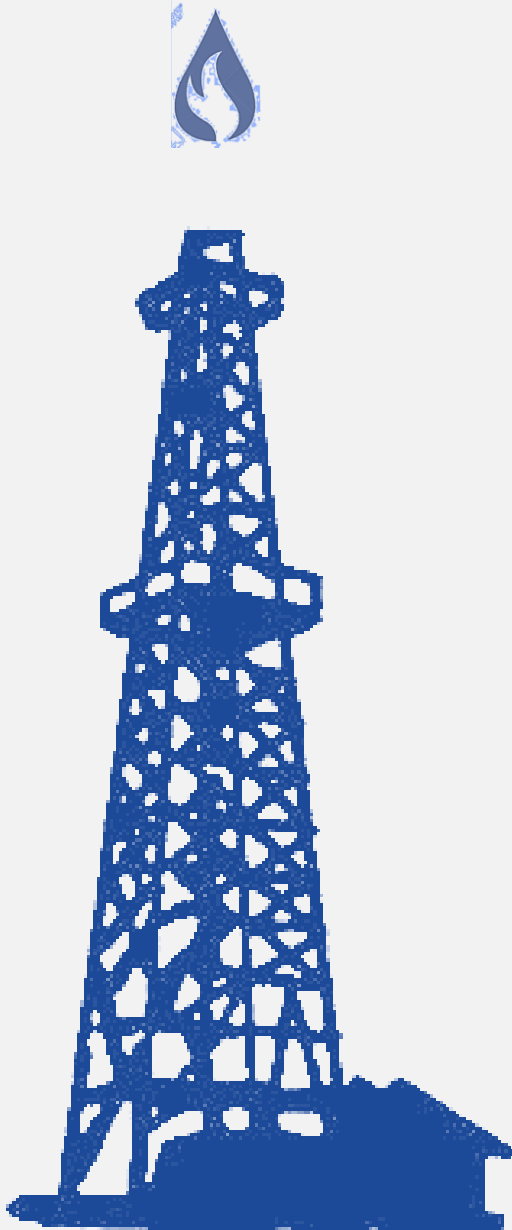
حين يخرج الجمال من عمق القبح

يحسن أن نتفق على مفهوم الجمال ومعاييره أولاً كي نحسم أمر المدى الذي يكون فيه القبح، ذلك إن تأملنا في حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم (... لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) حيث أصبحت الرائحة الكريهة مقبولة بل محل تفضيل ولعلها أجمل مما عهدناه من أزكى الروائح على ظهر الأرض عند الله تعالى من فم عبده الصائم، وحين نطالع توجيه الله تعالى لنبيينا في (وَلَا مَئْمَنَةَ مُؤْمِنَةٍ حَيْرٍ مِّنْ مُّشْرَكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ)، لنتساءل حينها حيال المعيار الذي يوجهنا الله إليه حيال مفهوم "الجمال"، كذلك إن تأملنا في مسار الحب، فهو في الإسلام أن يكون "في الله" ما يعني أنك إن أردت أن تحب أو تكره فلا بد أن يكون معيار القبول أو الرفض عبر الله، لذا "مشكاة أسماء الله وصفاته" تصلح أن تكون معياراً للقبول والرفض هنا، وعليه فلعل حواسك تبلغك برسائل عن جمال ما، فلا يصح أن تحكم بأنه جميل أو قبيح ما لم تعرّضه على (المشكاة)، فلعل ما تراه يكون في عرف الناس قبيحاً، غير أنه جميلاً لانسجامه مع (المشكاة) والعكس صحيح، حينها نقول يخرج الجمال المنسجم مع (المشكاة) من عمق القبح الذي يتراءى للناس، وعليه لا الحواس، ولا المنطق اللذان يحكمان وفق الواقع، بل (القلب) حيث موطن الحقيقة.



حين يخرج الأخضر من عمق اليابس

إن مفهوم الأخضر لا يعني بالضرورة الزرع، فقد يكون عبر فكرة، أو مشروع، أو إنجاز، واليابس قد يكون عن ضائقه، أو عوز، أو حصار، أو فقر، كما لا يوجد في قاموس الإسلام معناً لليأس، بل كل شيء من حولنا ينبض بالحياة والحركة حين الأرض والسماء (قالتا أتينا طائعين)، فالصحراء الجافة حين تغمرها السيول تنبت، والبذرة الميتة حين تغرس بالتربة تزهر وتثمر، والبترول ذهب أخضر من الصحراء اليابسة، والذهب والماس من المناجم المظلمة، وهكذا تكرر ظاهرة الأخضر من عمق اليابس تصدق حتى مع كل نبي، حين اخضرت الأرض بقدوم نبينا يوسف عليه السلام لمصر، واخضر العالم توحيدا وقيماً بمجيئ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية.



حين يخرج المَد من عمق الجَزَر

الجزر قد يكون عبر ما احاطتنا به كورونا
فجعلتنا محصورين في البيوت، فكان المد عبر
تعزيز العلاقات مع الأبناء، وعبر انطلاق
تطبيقات الزووم التي اختزلت المسافات،
وقلصت نفقات الاشتراك في المؤتمرات،
وعبر لحمة المجتمعات إذ أضحى العالم قرية
وصار كل إنسان يشعر بمشاعر ومعاناة
الإنسان الآخر، وكل ذلك أمام عدو موحد فقط
حين "ضيّق عبر جزر"، والجزر مع المال
يدفع الإنسان مدا في الاجتهاد عن مصادر
للزرق غير تقليدية، وابتكارات في التسويق
حين يصيب الأسواق تشبعا في المنتجات،
والعلامات



للمزيد طالع

وإن من شيء إلا يسبح بحمده

<https://wp.me/p3WskZ-bj0>

<https://wp.me/p3WskZ-c1j>

<https://wp.me/p3WskZ-bpP>

<https://wp.me/p3WskZ-c1A>

المراجع

- 1- الرواد – مقولة لأحمد الشقيري
- 2- ويكيبيديا
- 3- www.zumord.net
- 4- الباحث القرآني
- 5- موضوع – غوغل
- 6- مدارج السالكين



www.qeam.org

www.zumord.net